خلاصة الكلام
في خصائص نبي الإسلام
عليه الصلاة والسلام

بقلم
علي حسن علي عبد الحميد



دار عمار
دار القبس

خلاصة الكلام
في خصائص نبي الإسلام
عليه الصلاة والسلام

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دار القبس : عمّان - هاتف ٦٢١٢١١ - ص.ب ١٨٤٢٠٥
دار عمّار : عمّان - هاتف ٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١

خلاصة الكلام في خصائص نبي الإسلام

عليه الصلاة والسلام

خمسون خصيصة

بقلم
علي حسن علي عبد الحميد

دار عمار
عمّان

دار القبس
عمّان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . والَّذينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ عَلَىٰ الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهم﴾ [الفتح : ٢٩] .

مَا كَانَ مُحَمَّـدٌ أَبَا أحَدٍ مِنْ رِجَالِكُم وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

﴿إنَّـا أرْسَلْنَـاكَ شَاهِـدَاً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً . لِتُؤْمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّروهُ وَتُسَبِّحوهُ بُكْرَةً وَأصِيلاً﴾ [الفتح : ٩] .

مقـــدّمة

إنَّ الحمدَ لله ، نَحمدُه ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذ باللهِ مِن شرور أنفُسِنا، ومِن سيِّئات أعمالِنا ، مَن يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له .

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له .

وأشهد أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله .

أما بعد:

فقد بعث الله نبيَّهُ محمداً ﷺ والناسُ صنفان:

«أحدُهما: أهلُ كتابٍ ، بَدَّلوا من أحكامِه ، وكفروا بالله ، فافتعلوا كَذِباً صاغوهُ بألسنتِهِم ، فخلطوهُ بحقِّ الله الذي أنزَلَهُ إليهم .

فذكر تبارك وتعالى لنبيِّه مِن كُفرِهِم ، فقال: ﴿وإنَّ منهُم لفريقاً يَلْوونَ ألْسِنَتَهُم بالكِتَابِ لِتَحْسبوه مِنَ الكِتَابِ ، وما هُو مِنَ الكتاب ، ويَقُولونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ الله ، وما هُو مِنْ عِنْدِ اللهِ ،

ويَقُولونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وهمَ يَعْلمونَ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

ثم قال تبارك وتعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذينَ أُوتوا نَصيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤمنونَ بالجِبْتِ والطَّاغوتِ ويَقُولونَ لِلَّذين كَفَروا هٰؤلاء أَهْدَى مِنَ الَّذينَ آمَنوا سَبيلاً أولئكَ الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ ، وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تجد له نصيراً﴾ [النساء: ٥١ ، ٥٢] وغير ذلك من آيات .

وصِنْفٌ: كفروا بالله فابْتَدعوا ما لم يأذَنْ به اللهُ ، ونَصَبوا بأيديهم حجارةً وَخُشُباً ، وصُوَراً استحسنوها ، ونَبَزوا(١) أسماءً افتعلوها ، وَدَعَوْها آلِهةً عَبَدوها ، فإذا استحسنوا غيرَ ما عَبدوا منها: أَلْقَوْهُ ونَصَبوا بأيديهم غَيْرَه فعبدوه ، فأولئكَ العرب .

وسَلَكَتْ طائفةٌ من العَجَم سَبيلَهم في هذا ، وفي عبادَةِ ما استحسنوا مِنَ حُوتٍ ، ودابَّةٍ ، ونَجْمٍ ، ونارٍ ، وغيره . .

فَذَكَرَ اللهُ لنبيه ﷺ جواباً مِن جَوَاب بعضِ مَن عَبَد غَيْرَهُ مِن هذا الصِّنف ، فحكى جَلَّ ثناؤه عنهمُ قولَهم : ﴿إنَّا وَجَدْنَا آباءنا على أُمَّةٍ وإنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] .

---

(١) لَقَّبوا .

وقـالَ سبحـانـه في جمـاعَتِهم ، يُذَكِّرُهم مِنْ نِعَمِـهِ ، ويُخبِرُهُم ضلالتَهم عامَّةً ، وَمَنَّهُ على مَن آمَنَ منهـم : ﴿وَاذْكُروا نِعْمَـةَ اللهِ عَلَيْكُم إِذْ كُنْتُم أَعْـدَاءً فأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم فَأَصْبَحْتُم بنِعْمَتِهِ إخْوَاناً ، وكُنْتُم على شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها . كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

فكانوا قبلَ إنقاذِهِ إيَّاهُم بمحمدٍ ﷺ أهْلَ كُفْرٍ في تَفَرُّقِهِم واجتماعِهِم ، يَجْمَعُهُم أعظمُ الأمور: الكفرُ باللهِ ، وابتداعُ ما لَمْ يأذنْ به اللهُ ، تعالى عَمَّا يقولون علوّاً كبيراً ، لا إلٰه غيرُه ، وسبحانه وبحمده ، ربُّ كلِّ شيءٍ وخالِقُه .

مَن حَيَّ منهم فكما وَصَفَ حالَهُ حيّاً: عاملاً قائلاً بِسَخَطِ ربِّه ، مُزداداً من مَعْصِيَتِهِ ، ومَنَ ماتَ فكما وَصَفَ قولَهُ وعَمَلَهُ: صار إلى عَذابِهِ .

فَلَمَّا بَلَغَ الكتـابُ أجَلَهُ ، فَحَقَّ(١) قَضَاءُ اللهِ بإظهار دينه الـذي اصـطفى ، بعـد استعلاء معصيته التي لم يَرْضَ ـ فَتَحَ أبوابَ سماواتِهِ برحمتِهِ ، كما لم يزل يَجْري ـ في سابقِ علمهِ عند نزول قضائِهِ في القرون الخاليةِ ـ: قَضَاؤُهُ .

(١) أي : ثَبَتَ وصار حَقّاً .

فإنه تبارك وتعالى يقول: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فكان خِيرَتُهُ المُصْطفى لِوَحْيِهِ، المُنْتَخَبُ لِرِسَالَتِهِ، المُفَضَّلُ على جميع خَلْقِهِ، بِفَتْحِ رحمتِهِ، وَخَتْمِ نُبُوَّتِهِ، وَأَعَمُّ ما أُرسِلَ به مُرْسَلٌ قَبْلَه، المرفوعُ ذِكْرُهُ في الأُلى، والشافعُ المُشفَّعُ في الأخرى، أفضلُ خَلْقِهِ نَفْساً، وأَجْمَعُهُم لكلِّ خُلُقٍ رَضِيَهُ في دينٍ ودُنيا، وَخَيْرُهم نَسَباً وداراً: محمداً عبدَهُ ورسولَه.

وَعَرَّفَنَا ـ وَخَلْقَه ـ نِعَمَهُ الخاصَّةَ، العامَّةَ النفعِ في الدين والدنيا:

فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيْه مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بالمُؤمِنينَ رَؤوفٌ رَحيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨][(١)].

ولقدِ اختصَّ اللهُ سبحانه وتعالى نبيَّهُ محمداً ﷺ بخصائِصَ كثيرةٍ، ومزايا وفيرةٍ، رواها أئمةُ الإسلامِ وحفاظُ الشريعة في مصنفاتِهم، وَدَوَّنوها في مُؤلَّفاتِهِمُ مُبعثرةً مُفَرَّقةً، لا يجمعُها كتاب، ولا يحويها نِصاب[(٢)].

---

(١) بتصرف من «الرسالة» (١٠ ـ ٢٩) للإمام الشافعي رحمه الله.

(٢) الأصل والمرجع.

ثم أفْـردَهـا كَثيـرٌ من العلمـاءِ بالتأليف ، وأوْلَوْها العِنايَة بالتصنيف ، فَصَنَّفَ غيرُ واحدٍ من أهل العلم كُتُباً في خصائص الـرسـول الكـريم ﷺ[1] ، فكـانت مُصَنَّفـاتُهم جامعةً للغَثِّ والسَّمين ، والضعيفِ والمتين .

ومِن أجْمَـعِ ما أُلِّف في الخصـائص النبـويَّة ، والمزايا المحمـديَّـة : كتـاب «كِفَـايـة الطالب اللبيب ، في خصائص الحبيب»[2] للإمام السيوطي (٩١١هـ) رحمه الله تعالى ، فقد قال هو نفسهُ واصفاً كتابه : «ديوانٌ مُسْتَوفٍ لما تناسَخَتْه السَّفَرة الكـرام البررة، مستوعبٌ لما تناقلته أئمةُ الحديث بأسانيدها المعتبـرة ، مشتمـل على ما اختُصَّ به سيـدُ المـرسلين من المُعجزات الباهرة ، والخصائصِ التي أشرقت إشراقَ البدور السافرة»[3] .

وقد أورد السيوطيُّ رحمه الله في كتابه هذا ما يربو على

(١) انظر أسماء كثير منها في «الرسالة المستطرفة» (٢٠٢ ـ ٢٠٣) تحقيق محمد المنتصر الكتَّاني

(٢) طُبع بحيدر آباد سنة ١٣١٩هـ ، ثم طبع بمصر من غير تحقيق ، ثم طبع فيها سنة ١٣٤٧هـ محققاً بثلاثة مجلدات ، ويسمى هذا الكتاب أيضاً «الخصائص الكبرى» .

(٣) «الخصائص الكبرى» (١/ ٣) .

أَلفِ خصوصيةٍ من خُصوصيات نبي الإسلامِ عليه السلام ، دَأَبَ يجمعُها طوالَ عشرينَ عاماً[1] .

فرغبتُ في تخليص شيءٍ من هذه الخصائص ، وانتقاءِ عددٍ صحيحٍ مُعْتَمَدٍ منها ، حتى تكونَ حافزاً لي ، ولإخواني طلبة العلم ، ولسائر المسلمين ، على ازديادِ محبتنا لرسول الله ﷺ وهو القائل : «لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه والناسِ أجمعين»[2] فأسألُ الله العليَّ الأعلى أن يوفّقَنا جميعاً إلى ذلك .

وكمالُ مَحَبَّتِه ﷺ بكمال اتِّباعه ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران : ٣١] قال الحسن : فكان علامةُ حبهم إياه اتباعَ سنة رسول الله ﷺ[3] .

---

(١) «مؤلفات السيوطي» (٢٩٢) لأحمد الشرقاوي إقبال .

(٢) متفق عليه من حديث أنس ، وانظر «اللؤلؤ والمرجان» (رقم ٢٧) .

(٣) «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» (رقم : ٣١٣) للسيوطي ، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٢٧ ـ مختصره) : هذه الآية حاكمةٌ على كل من ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه تلك حتى يتّبع الشرعَ المحمدي في جميعِ أقواله وأفعاله .
* فما كان في الصحيحين أو أحدهما ذكرت مُخَرِّجَهُ منهما ، وما كان في غيرهما عَوَّلْت في العزو فيه على تحقيقات وتخريجات شيخنا =

بســـم الله الرحمن الرحيم

لقد أكرم اللهُ سبحانه وتعالى نبيَّه وصفيَّه محمداً ﷺ ـ دون غيره من الأنبياء ـ عليهم السـلام ، بخصـائص كثيرةٍ ـ كما أسلفتُ ـ وسأقتصر في هذه الرسالة على خمسين منها بحول الله وطَوْله :

١ ـ عَهْد :

قال الله تعالى : ﴿وإذْ أخَذَ اللهُ ميثَاقَ النَّبيِّين لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَـابٍ وحِكْمَـةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُـرُنَّـهُ . قَالَ أأقْـرَرْتُمْ وَأخَذْتُم عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إصْرِي . قَالُوا

= العلامة الألباني حفظه الله ، وذلك طلباً للتيسير والاختصار اللائقيْن بهذه الرسالة الموجزة ، وقد استفدت ـ والحق يُقال ـ مما كتبه الدكتور خليل إبراهيم ملاّ خاطر في كتابه اللطيف «عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عزّ وجل» ومن حُسن تبويبه وتهذيبه وتنسيقه أيضاً ، فجزاه الله تعالى خيراً ، ولا بد لي من التنبيه أن كتابه المذكور ـ على جودتـه ـ قد ورد فيه عددٌ من الأحاديث الضعيفة التي أعرضت عن ذكرهـا والاستدلال بها في هذه «الخلاصة» ولله الحمد ، فإن في «الصحيح» غنيةً عن الضعيف .

أَقْرَرْنَا . قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران : ٨١] .

ولهـذا فما من نبي من الأنبياء ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ إلا عنده علمٌ به ﷺ ، وبمبعثه ، وزمانه ، وهجرته ، وعلاماته وأوصافه ، فبشَّرَ أتباعه به عليه السلام .

٢ ـ أوَّلية :

لقد أخبرَنا الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ أنه أول المسلمين ، وأخبرَنا سبحانه أنه أمره أن يكون كذلك .

فقال عز وجل : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ . قُلْ إِنّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ . وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ١٤] .

وقَال : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحْيَايَ وَمَماتي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ . وَأَنَا أَوَّلُ المُسلِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٣] .

وقال : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١ ـ ١٢] .

٣ ـ خَتْم :

لقد ختم الله تعالى الأنبياء والرسلَ الكرام بنبيه محمد ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أبَا أحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ : « . . . وأنا خاتم النبيِّين» [متفق عليه] .

وفي حديث جابر عن النبي ﷺ : « . . . جئتُ فختمتُ الأنبياء» [رواه مسلم] .

٤ ـ رِسَالة :

لقد اختار الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ لأن يكون نبيَّ الإسلام ورسولَه ، هذا الدين العظيم الذي ارتضاهُ سبحانه وتعالى لنفسه ، فقال سبحانه : ﴿إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقال : ﴿أفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإِسْلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] .

٥ ـ أَوْلَوِيَّة :

عندما ادَّعى كلٌّ من اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام منهم نفى الله تعالى هذا الادِّعاء ، وبيَّن أنه ليس كذلك ، وإنما أَوْلى الناس به هذا النبيُّ الكريم ﷺ ومن اتبعه من المؤمنين ، لأنهم التقوا وإياه في المنهج والخط المستقيم .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرانيّاً وَلْكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً﴾ [آل عمران : ٦٧] .

وقال : ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْراهيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران : ٦٨] .

وكذلك فإنه ﷺ هو أولى بموسى وعيسى عليهما السلام من أتباعهما .

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أَوْلى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة . .» [متفق عليه] .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « . . . أنا أَوْلى بموسى منهم» [متفق عليه] .

٦ ـ أيْضاً :

وكما جعل الله تعالى نبيَّه ﷺ أَوْلى بالأنبياء السابقين ، فقد

جعله أيضاً أوْلى بالمؤمنين ، حتى من أنفسهم .

فقال تعالى : ﴿النَّبيُّ أوْلىٰ بالمُؤْمِنينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ . . .﴾ [الأحزاب : ٦] .

وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : «أنا أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم» [متفق عليه] .

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : «أنا أوْلِي بكل مؤمن من نفسه» [رواه مسلم] .

٧ ـ مِنَّة :

لقد امتنَّ الله تعالى على عباده المؤمنين بنبيه عليه السلام ، كما امتنَّ الله سبحانه بهدايته لهم إليه ـ وكان ذلك عن طريقه ﷺ ـ لأنه الداعي لربِّه سبحانه ، ولم يذكر ذلك لأحد من الأنبياء .

فقال سبحانه : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَإنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا . قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ للإيمانِ إنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] .

٨ ـ سِيَادَة :

لقد اختار الله عز وجل نبيه ﷺ من بين الخلق أجمعين بالمنزلة الرفيعة ، والمكانة العالية ، واصطفاه من بين البشر كلهم ، ليكون صفوة خلقه، وأحبهم إليه تعالى ، وسيد الخلق أجمعين .

عن واثِلَةَ بن الأسْقَع ، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» [رواه مسلم] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» [رواه مسلم] .

وعن أبي هريرة أيضاً أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة» [متفق عليه] .

٩ ـ طَاعَة :

لقد جعل الله سبحانه طاعة نبيه محمد ﷺ هي عين طاعته عز شأنه كما قرن طاعته بطاعته ، واتباع نبيه ﷺ موجباً لمحبته

تعالى ، ولم يكن ذلك لأحد قبله .

قال الله تعالى : ﴿مَن يُطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفيظاً﴾ [النساء : ٨٠] .

وقال : ﴿وَأطيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرْحَمُون﴾ [آل عمران : ١٣٢] .

وقال : ﴿قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران : ٣١] .

١٠ ـ إيْمَان :

ومن ذلك أنَّ الله سبحانه قَرَنَ الإيمان به بالإيمان برسوله ﷺ ، ولم يذكر ذلك في كتابه لأحد من أنبيائه عليهم السلام . .

فقال تعالى : ﴿يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا آمِنُوا باللهِ وَرَسولِهِ﴾ [النساء : ١٣٦] .

وقال : ﴿فَآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأمِّيِّ الَّذي يُؤْمِنُ باللهِ وكَلِماتِهِ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال : ﴿إنَّما المُؤْمِنونَ الَّذينَ آمَنُوا باللهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا﴾ [الحجرات : ١٥] .

وآيات كثيرة غيرها .

١١ ـ رَحْمة :

لقد بعثه الله سبحانه رحمة للعالمين ـ المؤمنين والكافرين ـ كما جعله رؤوفاً رحيماً بأمته خاصة .

أ ـ قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «إنما أنا رحمة مهداة» [صحيح الجامع : ٢٣٤١] .

ب ـ وقال سبحانه تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عزَّ وجل إذا أراد رحمة أمةٍ من عباده ، قبض نبيَّها قبلها . . .» [رواه مسلم] .

فقبضه الله سبحانه وتعالى قبل أمته رحمةً بها .

١٢ ـ أَمَنَة :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى وجود نبيه عليه السلام بين أمته أمناً لهم من العذاب ، بخلاف ما حصل لبعض الأمم

السابقة .

قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : «النجوم أَمَنَةٌ[1] السماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي ، أتى أمتي ما يوعدون» [رواه مسلم] .

١٣ ـ عُمُوم :

ومن ذلك أن جعل الله تعالى رسالته ﷺ عامةً للناس كلهم ، بل للعالمين جميعاً ، بخلاف ما كان عليه الأنبياء والرسل السابقون عليه وعليهم الصلاة والسلام .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ : ٢٨] .

وعن جابر أن النبي ﷺ قال : « . . وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثتُ إلى الناس عامة . . » [متفق عليه] .

---

(١) جمع أمين ، وهو الحافظ ، كما في «النهاية» (١/ ٧١) .

١٤ ـ حِفْظ:

لقد تكفَّل الله عز وجل بحفظ دين الإِسلام وببقائه ، ليكون هذا الدين المحفوظ الخاتم باقياً صحيحاً ، سليماً ، معجزاً ، وهو خير الأديان .

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكر وَإنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] .

وقال: ﴿الْيَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأتَممْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضَيْتُ لَكُمُ الإِسلامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣] .

١٥ ـ قَسَم:

ومن عِظَم قدره عليه الصلاة والسلام عند ربه سبحانه أن أقسم اللهُ تعالى بحياته ﷺ ، ولم يرد هذا لغيره من الأنبياء عليهم السلام ، فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .

١٦ ـ نِدَاء:

ومن ذلك أنه سبحانه وتعالى لم يناده باسمه ، ولم يخاطبه بشخصه ، وإنما كان يخاطبه بالنبوة والرسالة ، بخلاف الأنبياء السابقين .

فقال تعالى: ﴿يَا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِل إليك﴾

[المائدة: ١٧] .

وقال: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] .

وآيات كثيرة غيرها .

بينما قال لأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه:

﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ﴾ [هود: ٢٨] .

﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة﴾ [البقرة: ٣٥] .

﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] .

﴿وناديناهُ أن يا إبراهيمُ قد صدَّقت الرُّؤيا﴾ [الصافات: ١٠٤] .

وغير ذلك كثير .

١٧ ـ صَوْت:

ومن ذلك أن الله تعالى نهى الصحابة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ ، ولا يجهروا له بالقول ـ كما هو الحال بين الناس ـ حتى لا تحبط أعمالهم .

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُم صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيهِم لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢ ـ ٥] .

وبعد نزول هذه الآية الكريمة ، لم يكن عمر بن الخطاب

ليُسمِعَ رسولَ الله ﷺ كلامه ، حتى يستفهمه . [رواه البخاري] .

١٨ ـ صَدَقة :

ومن ذلك التبجيل والاحترام أن الله عز شأنه أمرهم إذا أرادوا أن يناجوه ﷺ وكانوا قد أكثروا النجوى ـ أن يقدموا بين يدي مناجاتهم له ﷺ صدقة(١) .

فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً . ذٰلكَ خَيْرٌ لَكُم وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ . أأشْفَقْتُم أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَاتٍ . فَإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ واللهُ خَبيرٌ بِما تَعْملونَ﴾ [المجادلة : ١٢ ، ١٣] .

١٩ ـ نُور :

ومما منحه الله سبحانه وتعالى أن سمَّاه نوراً ، ليهتدي به من كتبَ اللهُ تعالى له سعادة الدارَيْن ، ولا يستنير به من كتب عليه الشقاوة والحرمان .

(١) ثم نسخ ذلك ، وأمرهم بالطاعة .

فقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ . وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ ، ١٦] .

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً . وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٧] .

٢٠ ـ دِفَاع :

ومن ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى قد تولَّى الإجابةَ والدفاع عنه عندما اتهمه قومُه ، وقالوا عنه: هو ساحر ، هو مجنون . . الخ . بخلاف مَن تقدمه من الأنبياء السابقين حيث كانوا هم الذين يدافعون عن أنفسهم ، ويردون على أعدائهم .

فقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ . قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٠ ، ٦١] .

وقال عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ المَلأُ الذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ . قَالَ يَا قَومِ

لَيسَ بِي سَفَاهةٌ وَلكني رَسُولٌ مِن ربِ العَالمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦ ، ٦٧] . وهكذا . . .

بينما قال الله تبارك وتعالى مدافعاً عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رآهُ بالأفق المُبين ، وَمَا هُوَ عَلىٰ الغَيْب بِضَنين . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالمينَ﴾ [التكوير: ٢٢ - ٢٧] .

وقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنعمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنونٍ﴾ [الطور: ٢٩] .

وغير ذلك كثير .

٢١ - مَغْفرة:

ومما خصه الله تعالى به أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر ، وهو حيٌّ صحيحٌ يمشي على الأرض .

قال الله عز وجل: ﴿إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبكَ وَمَا تأخَّرَ وَيُتمَّ نِعْمتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقيماً . وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ [الفتح: ١ - ٣] .

وفي حديث الشفاعة الذي يرويه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ،: « . . فيقولون: يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم

الأنبياء ، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر ، اشفع لنا عند ربك» [متفق عليه] .

٢٢ ـ دَعْوة :

ومن ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ أخَّر دعوته المستجابة التي منحها الله تعالى له لأمته يوم القيامة .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لكل نبي دعوة مستجابة . فعجل لكل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» [متفق عليه] .

٢٣ ـ بَلَاغة :

ومن ذلك أن أعطاه الله سبحانه جوامع الكَلِم ، حيث جمع له الأمور الكثيرة في العبارة القليلة .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «فُضِّلْتُ على الأنبياء بست : أُعطيت جوامع الكلم ،» [رواه مسلم] .

وعنه أن النبي ﷺ قال : «بعثت بجوامع الكلم . .» [متفق عليه] .

٢٤ ـ خَزَائن :

ومما خصه به ربُّه سبحانه وتعالى دون غيره من الأنبياء أن

أعطاه مفاتيح خزائن الأرض ، والخلد فيها ، ثم الجنة ، لكنه ﷺ اختار لقاء ربه والجنة .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « . . . وبَيْنما أنا نائم أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضِعت في يدي » [متفق عليه] .

قال أبو هُريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتشلونها[1]

٢٥ ـ إسْلَام :

ومن ذلك أن أكرمه الله سبحانه بأن جعل قرينَه من الجنِّ مسلماً ، فلا يأمره إلا بخير .

ففي حديث عائشة رضي الله عنها عندما غَارَتْ من خروجه من عندها ليلاً ، قال رسول الله ﷺ : «أقد جاء شيطانُك»؟ قالت : يا رسول الله ، أو معي شيطان؟ ، قال : «نعم» قالت : ومَعَ كل إنسان؟ قال : «نعم» ، قالت : ومعك يا رسول الله؟ ، قال : «نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم» [رواه مسلم] .

(١) أي : تستخرجونها ، كما في «الفتح» (٦/١٢٨ ـ سلفية) .

٢٦ ـ نَصْر :

ومما خَصَّه الله تعالى وأكرمه به دون غيره من الأنبياء ، أن نصره سبحانه على أعدائه بالرعب من مسيرة شهر .

عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي . . . ونُصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر . .» [متفق عليه] .

٢٧ ـ شَهَادة :

ومن ذلك أنْ شهد اللهُ سبحانه وملائكته الكرام لنبيه عليه السلام أنه أنزل عليه الكتاب بالحق ، وأنه أرسله بدين الحق للناس كلهم ، وأن دينه سيظهر على الأديان .

قال تعالى : ﴿لٰكِنِ اللهُ يَشْهدُ بِمَا أنْزَلَ إليْكَ . أنْزَلهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكةُ يَشْهَدونَ . وَكَفَىٰ باللهِ شَهِيدَاً﴾ [النساء : ١٦٦] .

وقال سبحانه : ﴿وأرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهيداً﴾ [الفتح : ٢٨] .

٢٨ ـ خَيْريَّة :

لقد جعل الله عز شأنه القرنَ الذي بعث فيه نبينا محمداً ﷺ هو خير قرون الناس أجمعين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى كنت من القرن الذي كنت منه» [رواه البخاري] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ: أيّ الناس خير؟ قال: «القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ثم الثالث» [رواه مسلم] .

٢٩ ـ رَوْضة:

ومن إكرام ربه سبحانه وتعالى به أنْ جَعل بعض مسجده من رياض الجنة ، وهي الأرض الواقعة ما بين بيته الذي يبيت فيه ، ومنبره الذي يخطب عليه ، ﷺ .

عن عبدالله بن زيد ، أن رسول الله ﷺ قال: «ما بينْ بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» [متفق عليه] .

٣٠ ـ انْشِقَاق:

ومن ذلك أنْ خصَّهُ اللهُ سبحانه وتعالى بانشقاق القمر آيةً على نبوته ورسالته .

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَت السَّاعةُ وانْشَقَّ القَمَرُ وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا واتَّبَعُوا أهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أمْرٍ

مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ١ ـ ٢] .

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ أهل مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُريهم آيةً فأراهم انشقاق القمر . [متفق عليه] .

وعن ابن مسعود ، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فَلَقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل ، وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا» . [متفق عليه] .

٣١ ـ رُؤْية:

ومن ذلك أنه ﷺ يرى من وراء ظهره كما يرى مِن أمامه(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قِبلتي هاهنا؟ فوالله ما يخفى عَلَيَّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إني لأراكم من وراء ظهري» [متفق عليه] .

وعنه أن النبي ﷺ قال: صلّى بنا رسولُ الله ﷺ يوماً ثم انصرف ، فقال: «يا فلان ، ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يُصلي؟ فإنما يُصلي لنفسه ، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يديّ» [رواه مسلم] .

---

(١) ولعلَّ هذا خاصٌّ بالصلاة ، والله أعلم .

٣٢ - عَرْض:

ومما خصَّ الله به نبيَّه محمداً ﷺ أن عرض عليه الأنبياء بأممهم. وكـل نبي وأمتـه معه ، حتى أمته ﷺ ، وهي أكثر الأمم ، بينما يوجد بعض الأنبياء وليس معه إلا النفر القليل ، ومنهم من ليس معه أحد .

عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عُرضت عَلَيَّ الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده. . » [متفق عليه] .

٣٣ - غَيْب:

ومن ذلـك أنه ﷺ أخبر عن أمور لم يسبق لنبي أنْ أخبر عنها ، والإشارة إلى ذلك فيما يلي:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذَكَرَ الدَّجال ، فقال: «إني لأنْذِرْكُمُوه ، ما من نبي إلا وقد أنذر قومه ، لقد أنذر نوح قومه ، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه: تعلَّموا أنه أعور ، وإن الله تبارك وتعالى ليس بأعور» [متفق عليه] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، وحفظ ذلك من حفظه، ونَسِيه مَنْ نَسِيَه» [رواه البخاري].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته إلا أني لم أسأله: ما يُخرج أهل المدينة من المدينة» [رواه مسلم].

٣٤ ـ شَفَاعة:

ومن ذلك أن خصه الله سبحانه بالشفاعة.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي: .. وأعطيت الشفاعة»[1][متفق عليه].

٣٥ ـ بَعْث:

ومن ذلك أنه ﷺ هو أول من تنشق عنه الأرض، وأنه أول من يُبعث والناس ما زالوا في قبورهم.

---

(١) وقد صنف كتاباً كبيراً في الشفاعة وأحاديثها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، وهو مفيد جداً، وقد نشرته دار الأرقم في الكويت.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا سيد وَلَد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع» [رواه مسلم].

٣٦ ـ إمَامة:

ومن خصائصه أنه عليه الصلاة والسلام إمام الأنبياء وخطيبهم، ومبشرهم، وصاحب شفاعتهم.

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة، كنتُ إمامَ النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، غير فخر» [صحيح الجامع: ٧٩٣].

٣٧ ـ لِوَاء:

ومن عظيم قدره ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى أنه إذا كان يومُ القيامة كان الناس جميعاً ـ بما فيهم الأنبياء ـ تحت لوائه ﷺ.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ: آدم فَمَن سواه، إلا تحت لوائي..» [صحيح الجامع: ١٤٨١].

٣٨ ـ صِرَاط :

ومن ذلـك أنـه عليه الصلاة والسلام أول مَن يجتاز بأمته الصراط قبل الخلق كلهم .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « . . . . ويُضرب الصراط بين ظَهْرَي جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول مَن يُجيز . . » [متفق عليه] .

٣٩ ـ جَنَّة :

كما أنه ﷺ سيكون أول من يقرع باب الجنة ، فيفُتح له ، ولا يُفتح لأحدٍ قبله .

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «آتي بابَ الجنـة يوم القيامـة ، فأستفتـح ، فيقول الخازن ، مَنْ أنت؟ فأقـول: محمـد ، فيقول: بك أُمرتُ ، لا أفتحُ لأحد قبلك» [رواه مسلم] .

٤٠ ـ وَسيلة :

والوسيلة مرتبة عَلِيَّة ، لا ينالها إلا فرد واحدٌ فقط من جميع الخلق ، وهو نبيّنا ﷺ ، فيحمده الأولون والآخرون ، ويغبطونه على هذه النعمة العظيمة .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ، ثم صلوا عَلَيَّ ، فإنه مَن صلى عَلَيَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا اللهَ لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حَلَّتْ له شفاعتي» . [رواه مسلم] .

٤١ ـ مَقَام:

ومن عظيم قدْره عليه الصلاة والسلام عند ربه أنه سبحانه سيبعثه مقاماً محموداً يحمده عليه جميع الخلائق .

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرقُ نصف الأذن ، فبينما هم كذلك ، استغاثوا[١] بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ . . فيشفع ليقضي بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم» [رواه البخاري] .

---

(١) أما الاستغاثة في الدنيا فلا تجوز اتفاقاً كما هو مبيَّنٌ في محله .

٤٢ ـ كَوْثَر:

ومن ذلك أنْ أعطاه الله عز شأنه الكوثر ، وهو نهر يصب في حوض آنيته بعدد نجوم السماء .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...﴾ [الكوثر: ١] .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدُّرِّ المُجَوَّف، فقلت: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّك ، فإذا طيبُه[1] مِسْكٌ أُذْفَر» [رواه البخاري] .

٤٣ ـ سُجُود:

ومن ذلك أنْ خصَّه الله سبحانه وتعالى بالسجود تحت العرش ، بحيث يوحي إليه سبحانه وتعالى ، ويفتح عليه من الدعاء بما لم يسبق له مثيل من قبل ، ولم يُفتح على نبي من الأنبياء .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: « .. أنا سيد الناس يوم القيامة .. فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع

(١) وفي رواية: طينهُ ، وكلٌّ بمعنى .

ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عَلَيَّ ويلهمني من محامده وحُسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يُقال: يا محمد ، ارفع رأسك سل تُعطه ، اشفع تُشَفَّع» [متفق عليه] .

٤٤ ـ مِنْبَر:

ومما خصَّ الله تعالى به نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام أن يكون منبره الذي كان يخطب عليه منصوباً على حوضه يوم القيامة .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري رياض من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي» [متفق عليه] .

٤٥ ـ كَفَالة:

ومن ذلك أن تَكَفَّل الله سبحانه وتعالى بحفظه وعصمته من الخلق ، كما تكفل له بالمستهزئين ، فلن يصلوا إليه ﷺ لأنه بحفظ ربِّه له .

قال تعالى: ﴿يَا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إليْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ . وَاللهُ يَعصمك مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] .

وقال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهزِئينَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلمُونَ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٥].

٤٦ ـ صَلَاة:

ومن عظيم قدره ورفعة منزلته أنَّ صلاة الله تعالى وملائكته الكرام عليه ﷺ مستمرةٌ .

قال الله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ[1] عَلَىٰ النَّبيِّ يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

وقال ﷺ: «من صلى عَلَيَّ واحدة صلى الله عليه عشراً» [رواه مسلم] .

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخرِجَكُمْ مِنَ الظُّلماتِ إلىٰ النّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] .

فيكون لصلاة العبد المسلم على رسول الله ﷺ نتيجتان عظيمتان:

أ ـ أن يُصلِّي الله سبحانه عليه عشراً .

ب ـ أن يخرجه اللهُ سبحانه وتعالى من الظلمات إلى النور .

---

(١) هذه الصيغة تقتضي التجديد والاستمرار .

٤٧ ـ خَاتَم :

ومن ذلك أنْ جعل اللهُ سبحانه بين كتفيه خاتم(١) النبوة ، فيكون ﷺ خاتم الأنبياء ، ويحمل خاتم النبوة .

عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذَهَبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وَجِعٌ ، فمسحَ رأسي ، ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة»(٢) [متفق عليه] .

وعن جابر بن سمرة ، قال: «رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام» [رواه مسلم] .

٤٨ ـ كَثْرة :

لقد أخبر النبي ﷺ أنه أكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة ، لأنه أُعطيَ وحياً أوحاه الله إليه ، ولم يُعط أحدٌ من الأنبياء ذلك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما مِنَ الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما

---

(١) وصفته كقطعة «ناشزة من اللحم» كما في «الفتح» (٦/٥٦٣) .

(٢) في «الفتح» أن معنى ذلك: هو «بيض الحجلة» وهي الطير المعروف .

كان الذي أوتيته وحياً أوحاه اللهُ إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» [متفق عليه][1] .

٤٩ ـ شَرَف:

ومن عظَيم ، قدره ورفعة مكانته ﷺ أنَّ الله سبحانه أقسم ببلده ـ وهي مكة ـ تشريفاً لها ، لكنَّ ذلك مقيدٌ بحلول رسول الله ﷺ فيها .

فقال تعالى : ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد : ١ ـ ٢] .

قال البيضاوي[2] : أقسم بالبلد الحرام ، وقيَّده بحلوله عليه

---

(١) ومن الناس من يستدل بهذا الحديث ظاناً أن النصر مرتبط بالكثرة ، مع أنه استدلالٌ بعيدٌ ، فالبَوْن شاسع بين الدنيا والآخرة وأحكامها ، ودليل ذلك قول الله تعالى : ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ، واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، فعلى الذين يتفاخرون بالجموع الغفيرة التي تسيرُ في رِكابهم أن يُعيدوا النظر في حساباتهم ، فقد تكون جموعهم ـ إن كانوا صادقين ـ عبئاً عليهم ، وليست عوناً لهم ، وعليهم أن يعلموا أن القلة المؤمنة المتفوقة في عقيدتها وسائر شؤونها ، لا بد أن تنتصر ، إنْ هي أخذت بأسباب النصر .
وانظر «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» (ص ٧٦) .

(٢) في «تفسيره» (٣/ ٦٦٠) وانظر «تفسير الخازن» (٤/ ٢٤٨) .

السلام فيه ، ـ أي إقامته فيه ـ إظهاراً لمزيد فضله ، وإشعاراً بأنَّ شرف المكان بشرف أهله .

٥٠ ـ إعْجاز:

أما معجزته ﷺ التي انفرد بها عن جميع الأنبياء السابقين ، الباقية ما بقي الإنسان في هذه الدنيا ، فهي القرآن العظيم ، الذي لا ينضب معينه ، ولا تنقطع فوائده ، وهو المحفوظ من التغيير والتبديل والتحريف بحفظ الله له : في الصدور والسطور ، مَن آمَن به واتبعهُ اهتدى ورشد ، ومن تركه وضلَّ عنه غوى وهلك .

قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] .

وقال عز وجل : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان : ١] .

وعن أبي هريرة عنه ﷺ : « . . وإنما كان الذي أوتيتُ[١] وحياً أوحى الله إليَّ . . » [متفق عليه][٢] .

---

(١) يعني : من المعجزات .

(٢) انظر رقم (٤٨) المتقدم .

فلقد شاءَ الله سبحانه أن يجعل هذا القرآن معجزة هٰذه الرسالة، ولم يشأ أن ينزل آيةً قاهرة مادية تلوي الأعناقَ وتخضعها وتضطرها إلى التسليم ، ذلك أنَّ هذه الرسالةَ الأخيرة رسالةٌ مفتوحةٌ للأمم كلها ، وللأجيال كلها ، وليست رسالةً مغلقةً على أهل زمانٍ أو أهل مكان ، فناسب أن تكون معجزتُها مفتوحةً كذلك للبعيد والقريب ، لكل أمة ، ولكل جيل .

والخوارق القاهرة لا تلوي إلا أعناق مَن يشاهدها ، ثم تبقى بعد ذلك قصة تُروى ، لا واقعاً يُشهد ، فأما القرآن ، فها هو ذا بعد مضي أربعة عشر قرناً أو يزيد ، كتابٌ مفتوحٌ ، ومنهج مرسوم[1] . . .

* * *

---

(١) «في ظلال القرآن» (١٩/٦٦) وانظر «معجزات المصطفى» (٩ ، ١٠) .



الخاتمـــة

هذا آخرُ ما قَصَدْتُ تلخيصه من خصائص النبي الأعظم ﷺ ، سائـلا الله العليَّ الأعلى، أن يرزقنا حبَّه واتباعه ، وأن يحشرنا في زمرته ، إنه على كل شيء قدير .

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين

وكتب

أبو الحارث علي بن حسن بن علي الحلبي

الزرقاء ـ الأردن ـ بعد صلاة الفجر من يوم الأحد :

٢٧ ـ محرَّم ١٤٠٥هـ

فهرس الكتاب


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس